



جامعة يحيى فارس المدية
مخبر اللغة وفن التواصل (م. ل. ف. ت)



Université Yahia FÈRES Médéa
Laboratoire de langue et art de la communication (L.L.A.C)



مجلة التواصلية

رقم الايداع القانوني: ر د م د 2437-0894

رقم الايداع بالمكتبة الوطنية: 5845-2015

رت م د إ: 537X-6202

تجليات "القمر" وحقله الدلالية في شعر عبد الوهاب البياتي

"Moon" and its semantic fields in the poetry of 'Abd al-Wahhāb al-Bayātī

أ(ة).زهرة بهروزي جامعة خليج فارس، بوشهر - ايران

zohreh.behroozi@yahoo.com

د.ناصر زارع جامعة خليج فارس، بوشهر - ايران

nzare@pgu.ac.ir

د.علي خضري جامعة خليج فارس، بوشهر - ايران

alikhezri@pgu.ac.ir

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020-06-27	2020-11-04	2020-12-25

المرجع: زهره بهروزي، ناصر زارع، علي خضري « تجليات "القمر" وحقله الدلالية في شعر عبد الوهاب البياتي»، التواصلية، المجلد: 06، العدد: 18، 25 ديسمبر 2020، ص ص: 309 - 344.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/294>

تجليات "القمر" وحقله الدلالية في شعر عبد الوهاب البياتي "Moon" and its semantic fields in the poetry of 'Abd al-Wahhāb al-Bayātī

أ(ة).زهرة بهروزي

د.ناصر زارع (الكاتب المسؤول)

د.علي خضري

جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران

الملخص :

يعدّ رمز "القمر" من أبرز المظاهر التعبيرية في شعر عبد الوهاب البياتي، فضلاً عن فاعليته وتأثيره الدلالي في منح شعره سمو الصورة الفنية وذلك من دون الالتزام بالصرّاحة في التعبير عن الثورة، والدعوة إلى الحرية والتمرد على القيود الصارمة وما إلى ذلك من الموضوعات التي شغلت باله في المجتمع البشري. رمز "القمر" يحظى بأهمية بالغة في شعر البياتي، فقد اعتمد الشاعر "دال" القمر كثيراً وذلك للإفصاح عن تجاربه في الحياة، حيث أنّ "القمر" ليس اسماً لظاهرة سماوية في اللغة بل له دلالات إيجابية وسلبية متنوعة في الأدب.

يحاول هذا البحث وفقاً للمنهج الوصفي-التحليلي معالجة رمز "القمر" عند البياتي بصفته رمزاً كثير الدلالة يحفل بالإيحاءات المتنوعة إثر مصاحبته اللفظية مع المفردات التي لا تلائم الظاهرة السماوية ويتّصف بها الإنسان. من هذا المنطلق تطرّقنا إلى دلالات القمر الإيجابية كالوطن، الأمل، الشباب المكافح، النصر والحرية، المدينة الفاضلة، إلى جانب دلالاته السلبية كاليأس والحزن، والموت الأمير، الخيانة، والترحال. من أهمّ النتائج التي استخلصناها من البحث هي أنّ البياتي اعتمد رمز "القمر" 72 مرة للدلالات الثانوية؛ للدلالة على المعاني الإيجابية، لأنّ الشاعر قد أكثر من ترميز الأوطان والأمل بـ "القمر" وللدلالة على التفاوض عند البياتي لأنّه يرى القمر مصدراً للنور والحياة في الحياة المشحونة بالاضطراب والتشاؤم؛ وإلى جانب ذلك اعتمد البياتي رمز القمر للدلالة على المفهوم السلبي ويرجع سرّ هذا التوظيف إلى أحاسيسه وشعوره المفعم باليأس والحزن ورؤيته إزاء الموت دونما يظهر له بصيص من الأمل.

الكلمات الدلالية: الشعر العربي المعاصر؛ عبد الوهاب البياتي؛ القمر؛ الحقول الدلالية.

Abstract:

The symbol "moon" is one of the most important features of 'Abd al-Wahhāb al-Bayātī's poetry, it implicitly speaks about Revolutionary activities, calls for social freedom and Protesting against society's restrictions. The importance of the "moon" lays in the various positive and negative means it has in his al-Bayātī's's literature .

This article attempts to analyze the "moon" through the descriptive-analytical method. This symbol can refer to several positive meanings related to.: nation, hope, young fighter, victory and freedom, utopia; and negative ones such as, despair, discomfort, death, betrayal, wandering. Finally, we obtained the following results: this symbol has 72 positive and negative implications. The most positive and symbolic meanings of the "moon" have relation to the concepts of nation and hope, and this repetition refers to the poet's hope, because the moon is a source of hope and life. The "moon" was also used to refer to negative concepts which reflect the poet's feeling of despair, death and betrayal.

Key words: Modern Arabic Poetry; 'Abd al-Wahhāb al-Bayātī; Moon; Semantic fields.

1.المقدمة:

للطبيعة مكانة بارزة في عالم الشعر الحديث، بما أنّ لها تواجداً واسعاً في الشعر من خلال توظيف الظواهر الطبيعية على وجه المفردات المنزاحة من معانيها الأصلية ودلالاتها على المعاني الثانوية، بما أنّ في الطبيعة ظواهر كالشمس، والقمر، والصور الفلكية، والنار، والمطر، والزهور، والأشجار، ويرى الإنسان فيها أثر الحياة وتدققها. فحينما يرى الشاعر هذه الظواهر الطبيعية، وفقاً لشعوره بالأمل أو اليأس يبرع في توظيف ظواهر الحياة للدلالة على الدلالات الإيجابية والسلبية.

إنّ القمر ظاهرة سماوية يظهر في الليل وينور الأرض ولإضاءته سواد الليل في كثير من الأحيان يعتبر دالاً للتائه؛ فانطباع الإنسان عن ظاهرة "القمر" يؤدّي إلى استخدامه للدلالة على النور والأمل في الظلمة والسواد. يحظى "القمر" مكانة في الأدب العربي منذ العصر الجاهليّ حتّى العصر الحديث كما ورد عند عبد الوهاب البياتي، هو الذي يُعتبر من شعراء الأدب المقاوم من أجل قصائده الحافلة بالموضوعات العديدة في حقل الحماية من الشعب العراقي، والمأساة البشرية. إنّ البياتي ركز في قصائده الرمزية على مفردة "القمر" وقام بالإكثار من توظيفه لتبيين رؤيته إزاء الحوادث والوقائع المفرحة أو المحزنة في العالم البشري وانعكاس الحوادث والتعبير عمّا يتمحور حول الشعوب المغلوبة كي يتمكن من توعية المجتمع، لأنّ «هذا الوعي هو ما يميّز أدب المقاومة العظيم عن آداب المناسبات

السريع الزوال»⁽¹⁾. هذا الاهتمام برمز "القمر" عند البياتي ينبعث من أن القمر ليس عند الشاعر مفرداً في المعجم فقط بل له دلالات ايجابية وسلبية، وفقاً للمصاحبة اللفظية؛ فمن دلالاته الإيجابية هي: الوطن، الأمل، النصر والانفتاح، الحرية، الحياة، الأطفال والشباب، المكافحين، المدينة الفاضلة. كذلك يحمل "القمر" دلالات تقابل الوجه الآخر: الموت، الحزن واليأس، الأمير، الخيانة، المنفى والترحال.

يتمحور البحث على المعاني المجازية التي يحملها دال "القمر" في قصائد البياتي، فيجدر لنا أن نعالج دلالاته على محورين، أي: الدلالات الإيجابية والدلالات السلبية؛ وفي هذا المنطلق نعتمد على المنهج التحليلي مستهدفاً الخوض في المفاهيم المكونة وراء مفردة "القمر" وتبيين المفاهيم حسب الضرورة، لأنّ دال "القمر" وسيلة للتعبير عن التجربة الشعرية لدى الشاعر وهو الذي ينوي إيصال المفاهيم للمتلقى.

2. أسئلة البحث:

نسعى في هذا البحث معالجة مفردة "القمر" عند عبد الوهاب البياتي لنستخرج في الأخير، المعاني الدلالية الكامنة في أشعاره، ومن هذا المنطلق نحاول الإجابة عن هذين السؤالين:

ما هي الدلالة الثانوية لـ "القمر" وما هي دلالاته الإيجابية والسلبية عند عبد الوهاب البياتي؟

⁽¹⁾ غالي شكري، أدب المقاومة، القاهرة، دار المعارف، 1970م، ص 17.

-ما مدى توظيف دال "القمر" في قصائد عبد الوهاب البياتي؟

3.خلفية البحث:

الرمزية سمة فنية في آثار الشعراء منذ القديم، ونرى تداعياته بصورة خاصة في العصر الحديث؛ لأنّ الشعراء المعاصرين قد استخدموا الرمز بشكل عميق وبنسبة واسعة؛ فلذا حظت دراسة ظاهرة الرمز عناية واسعة. وقد تمّ التطرّق إلى هذا الموضوع ضمن دراسات عديدة في آثار الشعراء كالشاعر العراقيّ عبد الوهاب البياتي.

لقد تطرّق الباحثون إلى جوانب متعدّدة من قصائد البياتي وكتبوا عدداً واسعاً من الدراسات في مختلف الصحف والمجلات عن تجربته الشعرية منها: أطروحة الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي للباحث حسن عبد عودة حميدي الخاقاني، كلية الآداب بجامعة الكوفة، 2006 م، والباحث توصّل إلى أنّ البياتي لم يقيد نفسه، أو شعره بحقيقة الرمز، فقد أباح لنفسه التصرف بالرموز بما يقدّم لغرضه التعبيري الذي يطمح إلى إيصاله المتلقّي والتأثير فيه. مقال الرمز الإسلاميّ في شعر عبد الوهاب البياتي للباحث عماد صالح جوهر، مجلّة مركز دراسات الكوفة، العدد 40، في عام 2016 م، إنّ البياتي وجد في الرمز الإسلامي ما يكشف عن مواقفه ومعاناته، وما ينسجم مع تجاربه وتجارب الأمة وتطلعاتها، مما دعاه إلى استلهاهم هذه المادة استلهاماً فنياً محكماً؛ ومقال القناع والدلالات الرمزية لـ "عائشة" عند عبد الوهاب البياتي للباحثين فؤاد عبد الله زاده وحامد صدقي، مجلّة دراسات في العلوم الإنسانيّة، السنة 16، العدد 3، في عام

1430هـ: هذا البحث يتناول موضوع "عائشة" في أشعار البياتي، ومن نتائج البحث هو أنّ مفردة "عائشة" هي في الواقع رمز أساسي عند الشاعر وقد استفاد منها للتعبير عن موضوعه الشعريّ وتجسيد رؤاه إزاء الكون والحياة؛ مقال رموزاركي شهرزاد در شعر عبد الوهاب البياتي، للباحثين سمية السادات طباطبائي ونعيمة پراندوجي، مجلة نقد ادبي معاصر عربي، السنة الثامنة، العدد 14، في عام 1397 ش، وتظهر لنا النتيجة من خلال دراسة شخصيّة "شهرزاد": إلى أنّها رمز للمرأة العصريّة، المرأة الملتزمة بالتقاليد ووطن الشاعر وكذلك الطهارة الضائعة من روح الإنسان؛ مقال تجليات المطر وحقوله الدلالية في شعر عبد الوهاب البياتي، للباحثين ليلا يادگاري وناصر زارع، ورسول بلاوي، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربيّة وآدابها، العدد 50، في عام 2019م، توصّلت الدّراسة إلى أنّ استخدام "المطر" هذه المفردة الرمزية، ينبعث من رؤيته إزاء الموت والحياة وعلى إثرهما اليأس والأمل الموجودين في نفسه في آن واحد. من هذا المنطلق، أثار البياتي حافلة بالمفردات والشخصيات الرمزيّة، فقد اهتمّ الباحثون بالدراسة حول دور الرمز في شعر عبد الوهاب البياتي وهناك دراسات كثيرة في هذا المجال. أمّا ما لفت انتباهنا ودفعنا إلى الاهتمام بهذا البحث فهو مفردة "القمر" ودلالاته الرمزيّة عند البياتي؛ لأنّ الشاعر استفاد من هذه الكلمة للدلالة على المفاهيم السلبية والإيجابية التي تتمحور حول الوطنيّة والإحساس بالغربة؛ لذا نحن نقصد أن ندرسها في آثار عبد الوهاب البياتي لأنّها تسهم في التعبير عن أحاسيس الشاعر بشكل رمزي بعيد عن الصراحة وكذلك لا نجد بحثاً مستقلاً حول هذه المفردة عند الباحثين.

4. رمز "القمر" في شعر البياتي:

البياتي شاعر عراقي اهتم بالقضايا الوطنية وسخر عمره فداءً في سبيل الثورة والنشاطات السياسية؛ في هذا المنطلق، تكلم الشاعر عن الثورة والانفتاح في نتاجه الأدبية وقد اهتم بأن يجعل شعره مرآة تنعكس ما يتحمل الشعوب العربية ويدافع عن حقوقهم تجاه المستبدين والمحتلين. هو يصرح برؤيته ويقول: «الناس في كل زمان ومكان لا يطبقون الكتابات التي لا تقول شيئاً عن عذاباتهم ونبض عصرهم فالكاتب من أجل الكتابة في العالم الثالث لا معنى لها»⁽¹⁾. فلهذه الرؤية تأثير على تركيز الشاعر على التعبير عن الشعوب المظلومين بشكل مباشر، أو غير مباشر استعانةً باختيار الرموز الطبيعية مثل "القمر" للتعبير عما يرتبط بتاريخ الأراضي وظروفها، وأورد "القمر" في محورين للدلالة على المعاني الإيجابية والمعاني السلبية.

1-4. الدلالات الإيجابية:

قد استفاد الشاعر من "القمر" في شعره للدلالة على المفاهيم التالية: الوطن، الآمال والطموحات، النصر، الحرية، الشباب، المقاتلين في سبيل الحرية، الحياة، المدينة الفاضلة؛ والبياتي يرمز بـ "القمر" في الحالات والصور التي تعرض لنا ضياء القمر الطالع على المجتمعات لكي يبشر انفتاحاً سياسياً في الأراضي المحتلة.

⁽¹⁾ البياتي، كنت أشكو إلى الحجر: حوارات، ط 1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993م، ص 102.

1-1-4. الوطن

لكلّ إنسان حبٌّ ذاتيّ يتبلور في وجوده ولا يمكنه الإعراض عمّا يرتبط بحبّه، وعبد الوهاب البياتي في قصيدته "الزنبق والحرية إلى ولدي سعد" يتكلّم عن هذه المحبوبة الشهيرة ويسمّيها بـ "القمر"، ويقول:

«عصفور أزرق/ في قفص من زنبق/ غنّى أغنية/ غنّى الحرية:/ يا قمري الأخضر/ يا حبيّ الأوّل»⁽¹⁾.

المبارز الوطنيّ يحثّ كل فرصة للكفاح في سبيل الحرية وطموحاته مثمّا يغرد الطائر الأزرق في قلب تشارلز بوكوفسكي ودوماً يغنّي للحبّ والأمل مع أنّ صاحبه لا يتيح له فرصة الخروج من القفص. الشاعر في هذه الأبيات من القصيدة يتكلّم عن الحنين إلى الوطن، ويشبّه المكافح المحبوس في السجن بعصفور محبوس يغنّي أغنية الحرية وينادي بلده. هنا نرى أنّ الشاعر يسمّي بلده "القمر" و"حبّه الأولى" لأنّه يرى وطنه كمحبوبة أنّه مشتاق بزيارتها ولكن يمنعه قفص القضايا السياسية، فلذا جاء بدال "القمر" للتعبير عن ابتعاده عن الوطن كما لا يمكنه لمس "القمر" بيديه للمسافة التي تفصلهما. يصف الشاعر رمز "القمر" باللون الأخضر ويهدف بـ "القمر الأخضر" أن يصوّر وطناً عامراً ويوحى بمدينة فاضلة متطورة ورؤيته تجاه وطنه في المستقبل إذ تخلّص من القيود، لأنّ

⁽¹⁾ البياتي، ديوان عبد الوهاب البياتي، ج 1، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 279.

«الأخضر عنوان انبثاق الحياة والصحة»⁽¹⁾. كذلك في موضع آخر، يأتي بـ
"القمر" بمثابة حبّ يحلف به، قائلاً:

«صَلَّيْتُ لِلْحَبِّ الَّذِي يَنْبَتُ فِي صَحْرَانَا الزَّهْرُ / غَنَيْتُ لِلنَّارِ الَّتِي تَوْقِدُ فِي
الْغَابَاتِ / فِي السَّحَرِ / حَلَفْتُ بِالْقَمَرِ / أَنْ نَلْتَقِيَ يَوْمًا / وَأَنْ نَرْقُصَ فِي أَعْيَادِ
شُعْبِي»⁽²⁾.

إنَّ البياتي، في قصيدته "عندما لا تمطر السماء" يتكلّم عن حزنه لانفراذه
وابتعاذه عن الوطن ثمّ ينتمي إلى التفاؤل ويحلف بالقمر إنّه سيرى أيام الانفتاح
والثورات الناجحة. في الواقع، لا يخفي الشاعر شعوره الإيجابية والسلبية كما نرى
في هذه القصيدة ولم يزل يسعى أن يرى ما يبعث على الأمل والتفاؤل بالحياة
الجديدة كما يُستدل من دال "الزهر"، "النار"، "القمر"، و"الرقص". يرمز الأرض
الحي والوطن المتجدّد بـ "القمر" مثلما يدلّ على عشتار في بلاد الرافدين وقيل
عنه: «كان القمر بحق، أنثى كونية عظمتى وكان هو ذاته الأمّ الكبرى والدة الكون
والأرض الخصبة، وقد ظهرت في تجلّيها الجديد: القمر»⁽³⁾، فلذا يرى الإنسان في
القمر تجسيداً لعشتار وخصوبة الحياة. كذلك نرى أنّ الشاعر يتكلّم عن الوطن
ويسمّيه بـ "القمر"، ذلك في قوله:

⁽¹⁾ يوسف نوفل، الصورة الشعرية والرمز اللوني، القاهرة، دارالمعارف، لاتا، ص 33.

⁽²⁾ عبدالوهاب البياتي، الديوان، ج1، بيروت، دارالعودة، 2008م، ص 412.

⁽³⁾ فراس السواح، لغز عشتار، دمشق، دار علاء الدين، 1985م، ص 64.

«قمر الطفولة في التراب/ عريان تنهش لحمه/ عريان تأكله الكلاب/ أواه
يا وطني/ ويا طفلاً تمزقه الحراب/... / أرى قناديل الشباب/ وأراك يا بغداد
شامخة القباب/ وأراك يا قمر الطفولة مشرقاً في كل باب»⁽¹⁾.

إنّ البياتي لا يعرف سبيلاً غير المقاومة ولا يتوقّع من ذلك غير الحرّية فلذا
يتبلور تفاؤله في كثير من قصائده كما يعبر عنه في قصيدته "قمر الطفولة". في
هذا المقطع من القصيدة يرمز الشاعر إلى مدينته بغداد بـ "قمر الطفولة"، إذ كان
بغداد في الهدوء والسلم زمن طفولته ويتوسط قبة السماء بديراً شعشعاً جميلاً. نرى
أنّه يصرّح ويقول: (قمر الطفولة في التراب)، ويقصد الشاعر بسقوط القمر العريان
في تراب الدلّ وتمزقه بيد الكلاب تعبيراً عن هيمنة المحتلّين على أرض بغداد
وزوال قدرته السياسيّة؛ يعرب البياتي عن حزنه لما أصاب بغداد من هوان وتشنّت
لكنّه ينتمي إلى ترسيم الآفاق الجديدة لبغداد وما يشعر بالأمل والنيل إلى الحرّية
حينما يقول (يا بغداد/يا قمر الطفولة مشرقاً في كل باب). هنا تكرار النداء دلالة
واضحة على رمز "القمر" لبغداد، وإشراق القمر في كل مكان وببيت يوحى بأنّ
العدل والهدوء يعود إلى بغداد بكافة بيوتها.

2-1-4. الأمل:

إنّ البياتي شاعرٌ ثوريّ يعبر عن أمله وإيمانه بالحياة من خلال بعض
قصائده، و«رحلة الشاعر في منحى الأمل، هي رحلة الفنّان المناضل الذي يبدأ
المعركة وزمانه أمامه، إنّ كلّ خطوة يخطوها تكشف عن مجلى من مجالي

⁽¹⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 120.

الخراب، ولكنها تتضمن أملاً جديداً»⁽¹⁾. في دراسة المفاهيم الرمزية الخفية في "القمر"، ظهر لنا أنّ مفهوم الأمل في بعض الأبيات يتجلّى من خلال "القمر"؛ يقول البياتي:

«أحمل قاسيون/ غزاة تعدو وراء القمر الأخضر في الديجور/ ووردة
أرشق فيها فرس المحبوب»⁽²⁾.

تحكي قصيدة "عين الشمس" عن مفهوم عرفاني أي الاتحاد الوجودي؛ وكما يُشاهد فيها الرموز الصوفية كرمز "القمر"، وهو يدلّ على «العارفون بالله تعالى»⁽³⁾. أمّا في هذه الأبيات فورد "القمر" رمزاً لمعرفة الشاعر بالأمل، لاصطباغه باللون الأخضر كما اخضرار الضوء الطالع يوحى بالرجاء والهدوء في النفس؛ للتأكيد على هذا المعنى نستند إلى كلام صبحي الذي يرى بأنّ «الشاعر يحمل المعرفة الإلهية في هذا العالم كما يحلّ الغزال في القفر المظلم، ولكن معرفة الشاعر تنتشد الأمل لخلاص العالم من شقائه»⁽⁴⁾. كذلك في موضع آخر، أورد البياتي دالّ "القمر" متّصفاً باللون الأخضر ونجده رمزاً للأمل، وذلك في قوله:

⁽¹⁾ أحمد المعداوي المجاطي، ظاهرة الشعر الحديث؛ مراجعة وتقديم نجيب العوفي، ط1، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع، 2002م، ص 133.

⁽²⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 238.

⁽³⁾ نور سلمان، معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي، مقدّمة إلى الدائرة العربية في الجامعة الأميركية لنيل شهادة أستاذ في العلوم، الجامعة الأميركية، بيروت، 1954م، ص 117.

⁽⁴⁾ محيي الدين صبحي، الرؤيا في شعر البياتي، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م، ص 312.

«رأيتَه يموت/.../ وقمر أخضر في عيونه/ يغيب عبر شرفات الليل والبيوت/ وهو على قارعة الطريق في سَكينة يموت»⁽¹⁾.

في قصيدة "المغني والقمر"، يرسم البياتي موت مكافح قميصه ملطّخ بالدماء وفي قلبه خنجرٌ، ثم يموت ويغيب القمر الأخضر ونور الحياة عن عيونه؛ وهنا يرسم الشاعر غياب القمر في عيون القتيل للتعبير عن أفول الحياة والأمل بالأيام الجديدة. نجده آخذاً بـ "القمر" رمزاً للأمل والحياة لأجل اتّصافه باللون الأخضر ما يدلّ على الأمل عند البياتي؛ من جهة أخرى القمر يدلّ على الموت والحياة لدورته الشهرية حيث أنّه ذات حركة رتيبة منظمة وكلّ يوم هو في شأن أي يظهر هلالاً ثمّ يتزايد حتّى يستدير ولكن اكتماله موقت ويبدأ في التناقص. هذا التناقص وانحدار القمر كان في عيون المكافح القتيل، بمعنى أنّ القمر وأمله بالحياة تناقص في عيونه حتّى أغلق أجفانه وانحدر القمر ومات.

يتكرّر هذا التركيب الوصفي في قصيدة "موت المتنبي":

«الشاعر الغارق في الأحزان والأغلال/ يعود من غربته ممزقاً جريحاً والساسة اللصوص والتجار والأنذال/ يمرغون القمر الأخضر في الأوحال»⁽²⁾.

هنا الشاعر رمزٌ لمن يكافح في سبيل العقيدة والفكرة متحملاً الغربة والتشرّد والأغلال لكي لا يتحمل ما ينافي عقائده. يعود الشاعر المبارز إلى أرضه ليبدأ الحركة والثورة من جديد، ولكن يعرض لهدف الأعداء ويمرغ المعاندون قمره

⁽¹⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج1، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 461.

⁽²⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج1، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 500.

الأخضر في الأحوال. هنا البياتي مرّة أخرى جاء بـ "القمر الأخضر" رمزاً مترعاً بأمله وما لاح له بارقة أمل للحياة، وما يلفت الانتباه هو أنّ دال "القمر" ورد للتعبير عن المعنى السلبي وهو الموت وفقد الأمل، وهذا القمر الأخضر الذي لم يزل يمحو الظلام ويبشر بالنور والأمل قد فقد نوره وهبط بيد المعاندين. كذلك نشاهد رمز "القمر" للأمل في قوله:

«أصنع من غدائر الليل لل.../ أطفال أقماراً وللمبحرين»¹

يعبر البياتي عن شوقه إلى مدن العشق كدمشق، وهذه الحرقّة التي برّحت به هي نفس العامل الذي يحييه ويمنحه الحياة حتّى يتمكن من قدرة الحركة الثوريّة ويغيّر الظروف إلى مدى أنّه يقول (أصنع من غدائر الليل أقماراً)؛ هنا قد صرّح الشاعر بعزمه واستطاع أن يبعث في قلوب النّاس بارقة الأمل بالنسبة إلى المستقبل من خلال هذه الصورة الرمزيّة التي تعرض زوال ظلمة الليل بنور الأقمار. في الواقع وظّف البياتي "الأقمار" رمزاً للأمال والأفكار المبنية على التفاضل بسبب شباهتهما في إقرار الهدوء والهداية، وكما أنّ القمر يهدي التائه في ظلمة الليل ويرافقه في سبيل المقصد فالأمل أيضاً يرافق الإنسان في سبيل الوصول إلى المراد ثمّ يثبت أقدامه حينما ينيل بالمطلوب.

3-1-4 الشباب والمكافحين:

آثار البياتي حافلة بالصور التي ترسم لنا حضور الشباب في ميادين المطالبات السياسة والاجتماعيّة للدّفاع عن حقوقهم الإنسانيّة. من خلال يصف

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ج2، ص 304.

الشاعر بسالة المبرزين وشهادتهم في سبيل النضال العقيدى، فلمزيد من التأثير والغناء المعنوي يستعين الشاعر بالترميز ويميز القصائد بتوظيف "القمر" رمزاً للشباب، وللإنسان المناضل أو القتيل في سبيل العقيدة ورؤيته السياسية. إن البياتي يشير إلى الذين يهتمون بالقضايا الوطنية بكافة أبعادها، وهنا قد استخدم "القمر" رمزاً لأبناء الأرض قائلاً:

«قمري الحزين/.../نحن من منفي إلى منفي ومن باب لباب/ ندوي كما
تدوي الزنابق في التراب/ فقراء، يا قمري، نموت/ وقطارنا أبداً يفوت»⁽¹⁾.

في قصيدة "قصيدتان إلى ولدي علي"، يتحدث البياتي لولده "علي" عن قضية الفقر ويصور حياة المتشردين الذين يعانون من الفقر. في هذا المنطلق يأتي بـ "القمر" رمزاً لأبناء الأرض لأنه يعتبر الجيل الجديد -المنقذون للحياة- كما يبرز القمر في ظلمة الليل؛ أما ما ملفت للانتباه فهو أن تركيب (القمر الحزين) حينما يصف الشاعر "القمر" بصفة "الحزن" قائلاً (قمري الحزين) كي يوحي بأن الشباب الذين نراهم ناجياً وأملاً للشعوب المظلومة، لا يرون لأنفسهم تطلعات جديدة في حياتهم لأنهم قد أصيبوا بالخمود، كما يصرح الشاعر على شيوخ اليأس بقوله ندوي كالزنابق ونموت.

في موضع آخر وظف البياتي اسم "القمر" رمزاً لمن يقضي عمره وحياته في الكفاح ويموت في سبيل الوطن، وهو يقول:

«وضع القمر/ جبينه الشاحب فوق حجر ونام/ وارتجف الشارع

⁽¹⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، صص 21-23.

والمصباح والظلام/ وسكتت بغداد لا تسأل عن الكلام/ لأنّ طفلاً عاري الأقدام/
مخضباً بدمه/.../ أيها الفاشست/ من رقاد، حرام!/ دم الشهيد الطفل في
أعناقكم»⁽¹⁾.

في قصيدة "أقول القمر"، يعبر البياتي عن شهادة النّاس وخضوبة الأرض بدم
الأطفال والشباب الذين لم يمزقوا طعم الراحة والحياة. إنّ الشاعر من خلال
التعبير عن شهادتهم بيد الفاشست، يأتي بهذه الصورة الرمزيّة: القمر الذي وضع
جبينه فوق حجر ونام، وهنا القمر رمزٌ للطفل الشهيد الذي صار جبينه شاحب
اللون وظهر على وجهه علامة الموت لكثرة النزيف؛ فهنا وظّف البياتي دال
"القمر" وأفوله دلالة على شهادة الأطفال والشباب؛ لأنّ القمر يدلّ على موت
الإنسان وفقاً لتغييراته الظاهرية، أي هلاله، محاقه وأفوله وغروبه. أمّا ما ملفت
للانتباه فهو التناظر الموجود بين "القمر" و"الطفل" في الضعف والدمار، ولم يزل
«حالة التشرد والهجرة وفقدان الأهل والأحبة متفشية، كما تفشا الموت والقتل
والخطف، فدمرت الأوطان وخربت المدن. تركيز الشاعر على طفل بعينه، هو لم
يتخلّى الصورة العامة، بل أراد بهذه الصورة تحديداً أن يستثيرنا عاطفياً وإنسانياً،
لنتقدم من (إنقاذه) ولا نتركه للموت»⁽²⁾.

4-1-4 النصر والحرية:

فكرة الحرية وتحقيق النصر في المنازعات الاجتماعية والسياسية تتجلى في

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ج2، ص 117.

⁽²⁾ رائد الحواري، «نبوءة الشاعر في ديوان -عيون الكلاب الميتة- عبد الوهاب البياتي»، مجلة
الحوار المتمدن، العدد 6483، 2020/2/5.

بعض قصائد البياتي، ويبيّن الشاعر بالانفتاح والتطوّر في المجتمعات البشريّة من خلال ترسيم الصور المليئة بالرموز الإيجابية كطلوع القمر وانتشار أنواره في ظلمة الليل. إنّ البياتي استخدم رمز "القمر" للنصر؛ لأنّ الإنجازات الوطنيّة والثوريّة تؤدّي إلى النصر والحرية كما هو الحال في القمر الذي ينور الأرض ويهدي النائه في ظلمة الليل؛ من هذه الشواهد الرمزيّة قول الشاعر:

«أيّها العذراء/ هزي بجزع النخلة الفرعاء/ تنفجر الشمس والأقمار/
يكتسح الطوفان هذا العار/ نولد في "مديد"/ تحت سماء عالم جديد»⁽¹⁾.

في قصيدة "الموت في الحب"، يعبر البياتي عن آفاق متفائلة؛ تحقّق الانتصار بعد تصوير الغربة والمعاناة، و يعرب عن شعوره بالفرح من خلال هذه العبارات الرمزيّة. أورد الشاعر بفجر الشمس والأقمار للتعبير عن الانفتاح والانتصار الوطني، كما يرمز انفجار "الشمس" و"الأقمار" إلى الإنجازات السياسيّة والاجتماعيّة التي تتحقّق وتؤدّي إلى العودة بأيام الفرح والمجد والولادة في مديد، تحت سماء جديدة في عالم خالٍ من القيود. ما لفت انتباهنا هو توظيف الأقمار وتميزها للانتصارات الوطنيّة، لأنّ «القمر ينظّم زمن تجديد الحياة في حقل النجوم والكواكب والأجرام الكونيّة، وكذلك في حقل الحياة الأرضي، والنباتي، والحيواني، والإنسانيّة»⁽²⁾؛ إذن علاوة على دلالة القمر على ظهور النور في سواد الليل ودلالته الإيجابية، إنّّه يدلّ على حياة جديدة وبدء عصر جديد تحت سماء عالم

⁽¹⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 148.

⁽²⁾ زان شواليه، آلن غريران، فرهنگ نامدها؛ ترجمة سودابه فضايلى، ط1، ج5، تهران، جيجون، 1387ش، ص 126.

جديد يمنح الشعب الحياة الكريمة. نجد في شعر البياتي شواهد أخرى تدل "القمر" على الانفتاح والحرية، نحو:

«كنت وحيداً/ آه يا حبيبتي، كقطرة المطر/ لا تحزني/ سأشتري غداً لك القمر/ ونجمة الضحى/ وبستاناً من الزهر»⁽¹⁾.

هذه الأبيات إشارة صريحة إلى انفراد البياتي وغربته في مدينة بعيدة من دمشق، حينما يخاطب الشاعر وطنه حزناً ويناديه (آه يا حبيبتي)، يعرب الشاعر عن ذروة حزنه وشعوره بالضعف نتيجة عدم إمكانه الوصول إلى المراد أي القمر والبستان من الزهر لكونه وحيداً كقطرة المطر التي لا تروي ظمأ الأراضي العطشى. ثم يعد البياتي محبوبته (أي وطنه) أن يشتري لها القمر ونجمة الضحى وبستاناً من الزهر. هنا يظهر دور القمر ومعناه الرمزي، لأن البياتي يشير إلى عهده من خلال هذه الرموز الطبيعية.

يرى البياتي تصوّر وجوده مدعاة للفرح في صورة متفائلة، صورة العودة إلى حضارته الماجدة والعيش الكريم دونما القيود ولا الأغلال؛ «العيش الكريم لن يكون في رأي الشاعر إلا بتلاشي طوايا الإبعاد والنسيان، و(اكتساح طوفان العار) باحتضان هزة جارفة تهز جذع النخلة حتى (تتفجر الشموس والأقمار)»⁽²⁾. فيأتي بالقمر رمزاً للانفتاح إلى بستان الزهر وخصوصية الأراضي رمزاً لعودة الحضارة وفي هذا العصر الذهبي يُنتشر السلام والهدوء في الأرض؛ في الواقع، يوحى "شراء

⁽¹⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج1، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 396.

⁽²⁾ عبد القادر فيدوح، معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، دار صفحات للدراسات والنشر، 2012م، ص 78.

القمر" بالانتصار والدخول في أبواب الحياة الجديدة بعدما اجتتى الإنسان ثمرة جهوده. طبقاً على آراء الباحثين، إنّ القمر رمز للإنتاج والخصوبة، «القمر ينتج المطر، وإنّه منبع للخصوبة ويُعتبر رمز للإثمار وأيضاً يشابه الماء الأولى وينشأ الكون»⁽¹⁾.

5-1-4 المدينة الفاضلة:

كانت ولاتزال المدينة والمجتمع الإنساني في علاقة وطيدة مع الإنسان، حيث أنّ حياة الأمم متأثرة بمجريات المدينة ويبدل الإنسان قصارى جهده لتطور المدينة بكافة أبعادها؛ لذا قام البياتي في بعض قصائده خاصة الديوان "قمر شيراز" بترميز "القمر" لمدينة أحلامه، فاعتمده للدلالة على «مدينة تبشر بقدوم اليوتوبيا التي تحمل معها الغد الآتي السعيد في ظلّ ولاءات الشاعر الإيديولوجيّة تعيش مقموعة خارج الواقع الخطي في المرحلة الواقعيّة»⁽²⁾؛ من شواهد ذلك ما ورد عند البياتي:

«أجرح قلبي، أسقي من دمه شعري/.../في حزن الألوان المخبوءة في اللوحات: امرأة حاملة قمراً شيرازياً، في الليل تطير، تحاصر نومي، تجرح قلبي،

⁽¹⁾ ژان شواليه، آلن گريبان، فرهنگ نمادها؛ ترجمة سودابه فضايلي، ط1، ج5، تهران، جیحون، 1387ش، ص 123.

⁽²⁾ كلثوم صديقي، حسن اعظمي خويرد، هانية ژرفي، حيدرمان شهري، احمدرضا، «ملاح المدينة والمجتمع الإنساني عند عبد الوهاب البياتي وأحمد شاملو (دراسة تحليلية مقارنة)»؛ مجلة بحوث في الأدب المقارن، جامعة رازی، کرمانشاه، السنة السابعة، العدد 25، 1396ش، ص 86.

تسقي من دمه شعري، أتعبد فيها: فأرى مدناً غارقة في قاع النهر النابع من عينيها»⁽¹⁾.

يشير البياتي في قصائده الحافلة بالحزن والكآبة إلى امرأة تولد من قصائده الحزينة وهي تحمل في يديها قمراً شيرازياً، وهنا المرأة هي «عائشة ومعها "شيراز" رمز مدينة الحلم، أو المدينة الفاضلة»⁽²⁾. إن الشاعر استخدم رمز "شيراز" لمدينة أحلامه حيث أنها مدينة قد اشتهرت بمدينة الحب ولم يزل البياتي معجباً بها. أمّا ما يلفت الانتباه فهو رمز "القمر" وتكراره في الديوان "قمر شيراز" لأنّ القمر والنور متلازمان وبالطبع «إذا يكون الحديث عن القمر، فيفتح الكلام عن "النور" وهو ما يبحث عنه البياتي في العصر الحديث»⁽³⁾؛ من هذا المنطلق نستنتج من "قمر شيراز" أنّ نور المدينة الفاضلة هو كلّ ما يريده البياتي في أيامه الحافلة بالحزن.

2-4 الدلالات السلبية:

في هذا المستوى، تختلف المفاهيم الرمزية، فيظهر لنا توظيف رمز "القمر" للدلالة على اليأس والحزن والموت؛ لأنّ هذه المفاهيم لم تكن إلاّ نتيجة للمصاعب

⁽¹⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 390.

⁽²⁾ حميدي الخاقاني، الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، العراق، 2006م، ص 245.

⁽³⁾ محمد عامري تبار، «شيراز: شهر روشنايي شعر البياتي»، مجلة نقد ادب معاصر عربي، دانشگاه يزد، يزد، السنة الخامسة، العدد 8، 1394ش، ص 135.

والأزمات السياسيّة والاجتماعيّة التي مرّ بها عبد الوهاب البياتي كالتشرّد والاعتراب إلى جانب هيمنة عصور الظلام والفقر، كما أنّ "القمر" بادّ عليه التأثير السلبي وذلك من خلال تغييراته الظاهرية منذ ظهوره و كل يوم يظهر في شأن.

1-2-4 الموت:

لا شك في هذه الحقيقة أنّ الإنسان سيموت لا محالة، أمّا الموت في أدب المقاومة فهو يُعتبر مفهوم سلبيّ يمزج شعور المخاطب بالحزن والكآبة، لأنّ «الموت يلوّن أدب المقاومة بلون الحزن، الشعراء الفلسطينيون انخرطوا إلى هذا العنصر في شعرهم لأنهم في يوميتهم يرونه من القريب كثيراً»⁽¹⁾. على ضوء هذه الدّراسة قد استخدم عبدالوهاب البياتي دال "القمر" في منطلق التعبير عن الموت، كما يُعتبر القمر وتغييراته طيلة ظهوره حتى أفوله بمثابة إنسان يحيى ويعيش ثم يموت، وإنّ هذه التغييرات الشكلية في دائرة القمر مماثلة لفترات الحياة. كما يشير البياتي إلى هذه العقيدة قائلاً (قمر الموت):

«أصرخ في ليل القارات الستّ، أقرب وجهي من سور الصين، وفي نهر الليل أموت غريقاً... في منتصف الليل يغيب النجم القطبي وينبح كلب قمر الموت. لماذا يا أبتى صمت الإنسان»⁽²⁾.

يشير عبد الوهاب البياتي إلى الحكّام المستبدّين الذين لا يطبقون معارضة

⁽¹⁾ فاطمة محمدي، مضامين المقاومة وأساليبها في شعر عبدالرحيم محمود، بحث مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر، 1395ش، ص 84.

⁽²⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 372.

الشعب بالنسبة إلى المشروعات والقيود التي تضغط على الناس؛ فيحكم عليهم بالقتل والتشرد وذلك لخمود النشاط. وقد وردت صور تدلّ على موت الإنسان كغياب النجم القطبي، وقمر الموت، وصمت الإنسان؛ فهكذا بصورة متميّزة قد عمل الشاعر على تخصيص القمر وإضافته إلى الموت للدلالة على موت الإنسان المبارز الذي يصل إلى النور الحقيقي -أي "القمر".

أمّا ما يلفت الانتباه فهو علاقة وثيقة بين الكلب والقمر ومصاحبة الكلب والقمر في (ينبح كلب القمر)، فهذا يظهر لنا كأنّ الكلب وجد نور المحض في السماء وبدا ينبح له، فهو يخاف من نور القمر ويعوي له بعدما ظهر في السماء. في قصيدة أخرى يشير البياتي إلى مفهوم الموت وذلك في قوله (أرجوحة القمر)، وهنا قد استخدم الشاعر مفردة "القمر" للدلالة على القبر والمدفن وهو يقول:

«نظرتُ من كوة قبري وأنا أغالب الأرق/ وجسدي يغسله الفجر وخدي فوق خد الأرض/.../ وفمها فوق فمي/ لا أحد جاء/ ولا ذهب/ من بحر "قزوين" إلى حلب/ أنام في أرجوحة القمر/ وسكتت ونحن في "اللوfer" ضائعان/ في زحمة البشر/ نسير في أعقابهم أموات»⁽¹⁾.

تحكي الأبيات عن العصور التي عانت منها الأمم وجريت عناء الحب إلى الوطن، وذلك في الزمن الذي أدّى الكفاح في سبيل الحرية إلى المزيد من التشرد والموت كما هو باد وظاهر من خلال: (كوة قبري)، (أرجوحة القمر)، (نسير أموات).

⁽¹⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 262.

أما ما يهمنّا فهو ترميز (أرجوحة القمر) بدل التصريح بالقبر، وهذا التركيب الرمزيّ يوحي إلى دلالتين، هما: تشبيه حفرة القبر والمدفن بالقمر النحيل، وكذلك هلال القمر الذي يتغيّر ويستحيل رؤيته يدلّ على خمود الحياة وموت الضائع المتسرّد؛ كما قيل أنّ «القمر إذا ابتدأ بالتناقص كان ذلك نذيراً بكلّ سوء محتمل. القمر في طورها المتناقص قد تأخذ ما أعطته في طورها المتزايد وعندما تختفي تماماً في الأعماق ترسل عفاريت العالم الأسفل لقبض أرواح من وهبتهم الحياة»⁽¹⁾.

كذلك في موضع آخر، نجد الشاعر آخذاً بـ "القمر" رمزاً للموت، وذلك في قوله:

«شمس حياتي غابت/ وفي مساء زارني ملاك/ ووضع القمر/ على جبيني، شقّ صدري، انتزع الفؤاد/ وقال لي إياك فالعناء/ تكبر إن تصاد/ فعد إلى المقابر/ والكتب الصفراء والمحابر»⁽²⁾.

قد ألقى اليأس والخيبة ظلاله على قصيدة "العناء" ويعبّر البياتي عن حزنه لخلوّ العالم من الأبطال لكي يقوموا بإنقاذ العالم والثوار ماتوا أو يقضون عمرهم في التشرّد والتبعيد وحينئذٍ لا مفرّ للشاعر من الموت والتشرّد، وحذره ملاك من الالتجاء إلى العناء وهي رمز للانبعاث بعد الموت و«قد استعملها البياتي لتكون

⁽¹⁾ فراس السواح، لغز عشتار، دمشق، دار علاء الدين، 1985م، ص 86.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ج2، ص 141.

رمزاً لإمكان بعث الإنسان»⁽¹⁾؛ وليس بإمكانه أن يتخلص من الموت لأنّ شمس حياته غابت وانطفأ القمر؛ «تحيل الحياة إلى موت عنيف (مقتول)؛ يختم المقطع الاخير النص بحقائق جافة، بجمل اسمية (شمس حياتي غابت) وهو غياب يحول الوجود الانساني الى منفى جاف قاس»⁽²⁾. والملاك وضع القمر الذي تكون علامة حياته على جبينه لكي يُدفن في القبر، ولا يبقى أثراً من حياة الثوار.

2-2-4 اليأس:

اصطبغت بعض قصائد البياتي بالمفاهيم والصور التي تدعو إلى التشاؤم وهيمنة اليأس على روح الكلام ومعينه الذي يستقي الشاعر من خلاله الأفكار والصور الشعرية؛ لأنّ آثار عبد الوهاب البياتي تتناول روح الثورة و«حين ربط ثورته بروح الثورة، لا بالثورة المحددة، بزمان ومكان معيّن، قد امتلك معيناً لاينضب من صور الأمل، غير أنّ ثمة أمرين لابدّ من اعتبارهما، أحدهما ارتباط الشاعر ذاتياً واجتماعياً بالثورة العربية، والآخر، طبيعة هذه الثورة التي تنفرد من بين الثورات المختلفة؛ ذلك الارتباط قد جعله يمتلك نبعاً آخر، من صور اليأس التي تكاد في كثير من الأحيان أن تغطي على صور الأمل وأن تلمس

⁽¹⁾ حميدي الخاقاني، الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، العراق، 2006م، ص 221.

⁽²⁾ حميدي الخاقاني، الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، العراق، 2006م، ص 228.

معالمها»⁽¹⁾. من هذا المنطلق فقد دلّ "القمر" على مفهوم اليأس وقد تطوّر معناه الرمزيّ بعد ذلك، فهو -كما مرّ بنا- بمثابة الآمال في الحياة؛ لذا يحتاج إلى إمعان وتفكير حتّى نفقن إلى دلالاته على اليأس. ومن نماذج ذلك، قوله:

«بابل تحت قبة الليل، بلا زاد ولا معاد/ بلا حنوط، ترتدي عباءة الرماد/
صحتّ على أطلالها: عشتار!/ فصاحت الأحجار/ عشتار، يا عشتار، يا
عشتار!/ تصدّع الجدار/ وغاب في الخرائب القمر/ وانهمر المطر»⁽²⁾.

قصيدة "عودة من بابل" حبلى بالرموز التي تدلّ على موت الأمل وروح الحياة، مع ذلك يتكرّر في القصيدة نداء الشاعر (يا عشتار) لكي يبعث الحياة في الأمة العربيّة التي عمّ فيها الدمار والفقدان. استعان الشاعر في هذا الموقف بدال "القمر" للترميز إلى عشتار؛ «القمر هي عشتار الآن، أنّها تتجلى في القمر الذي يهبط من الأعلى العظيم على درجات ومراحل إلى الأسفل العظيم، القمر الذي يحمل توقاً دائماً كلّما توسط السماء بكامل حلّه وزينته»⁽³⁾ وأراد بتصوير غيبة "القمر" وإلهة عشتار للدلالة على اليأس؛ لأنّ السماء خالٍ من القمر الذي قد كان بمثابة أمل للإنسان في ظلمة الليل؛ إذن «غاب في الخرائب القمر، هو ما يعني

⁽¹⁾ أحمد المعداوي المجاطي، ظاهرة الشعر الحديث؛ مراجعة وتقديم نجيب العوفي، ط1، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع، 2002م، ص 132.

⁽²⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 78.

⁽³⁾ فراس السواح، لغز عشتار، دمشق، دار علاء الدين، 1985م، ص 64.

أقول الأمل الذي يحاصره الأعداء»⁽¹⁾.

كذلك نجد شواهد أخرى عند الشاعر يدلّ فيها "القمر" على الشعور باليأس في الحياة لفقد التطلعات الزاهية وسيطرة ظلال الموت على الحياة، منها: تركيب (القمر الأسود)؛ لأنّ تلوين القمر بالسواد يحمل من المعاني السلبية الدالة على اليأس، نحو:

«قمرٌ أسودٌ في نافذة السجن، وليل/ وحمامات وقرآن وطفل/ أخضر العينين يتلو/ سورة "النصر" وفلّ/ من حقول النور، من أفق جديد»⁽²⁾.

في قصيدة "الموت في الظهيرة" يتطرّق الشاعر إلى ظاهرة من ظواهر الحروب الوطنية؛ أي التعذيب وقتل المكافحين والوطنيين في زنزاناتهم. تبدأ قصيدته بـ (القمر الأسود في نافذة السجن) و«يظهر القمر الأسود دليلاً على اليأس والحزن»⁽³⁾ ولكي يعرب عن ذروة خيبة ألقى ظلامه على المحبوسين في سجن الأعداء حتّى يرى الثائر موته قريباً. هنا يُستدل المعنى السلبي من مصاحبة القمر مع اللون الأسود؛ لأنّ «اللون الأسود من منظور نفسي يرمز إلى الحزن حيناً عند

⁽¹⁾ حميدي الخاقاني، الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، العراق، 2006م، ص 201.

⁽²⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج1، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 263.

⁽³⁾ حميدي الخاقاني، الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، العراق، 2006م، ص 289.

معظم الشعوب، ويحمل إحساساً بالوحشة، والكآبة، والهم، والغم»⁽¹⁾.

في الواقع «أول صورة تصدم المتلقي (قمر أسود) وتجعله يجتهد في تأويل هذا اللون المنسوب للقمر، أهو موت الثوار، أم خيبة الأمل، أم بشاعة الاستعمار، أم الخيانة، كل هذه تأويلات يفتح عليها النص الحداثي. الشاعر الحداثي أبي إلا أن يجمع هذه الصور في صراع منذ البداية (قمر أسود) لتنفجر بعد هذه الصورة الدلالات والرموز بفضل تراكبها وتعقدها وتناقض عناصرها الظاهرة باثة مجموعة من الإشارات اللامعة في فضاء القصيدة، التي تحركها وحدة عاطفية تعد قوام هذه القصيدة التي لم تعد تسير العقل ومنطقه، وإنما يجب تقبلها كما هي، لأنها تعبر عن لحظة شعورية واحدة لا يمكن تجزئتها»⁽²⁾.

3-2-4 الخيانة:

منذ خلق البشرية بدأ الانتهاك وغادر قابيل أخيه هابيل وقتله، وإن التاريخ زاخر بالثورات والحروب التي فشلت والقتلى الذين انهدر دمائهم للخيانة ونقض العهود من أجل الدوافع السياسيّة والاجتماعيّة، فهكذا تكررت الخيانات الكبيرة والصغيرة في أنحاء العالم. يشير البياتي إلى أنّ حياته كانت متأثرة بالخيانة وله

⁽¹⁾ نجاح عبد الرحمن المرازقة، اللون ودلالاته في القرآن الكريم، رسالة الماجستير مقدّمة إلى عمادة الدّراسات العليا في الأدب قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، 2010م، ص 48.

⁽²⁾ الياس مستاري، الصورة الشعرية وسماتها الحداثية في شعر عبد الوهاب البياتي (قضايا مختارة)، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد 40، 2018م، الصفحة 137.

المعرفة بحسّ الخيانة ومرارتها لأنّه جرّب الحياة في الغربة والتشرّد؛ إنّه يرمز بـ "القمر" للخيانة للمرتين قائلًا:

«قصائد شمس بلادي وغد الأطفال/ ورعشة الزلزال/ لن تشتري بذهب العالم/ لن ثُباع، لن تُنال/ وغشني الأمير يا صغيرتي/ وقلب الأوراق/ وسلط الكلاب في صمت الليالي/ تنهش الرفاق/ وقمر الخيانة الأسود في المحاق»⁽¹⁾.

يعبر البياتي عن اللعبة التي بنيت على الخيانة لكي يُغرق العراق، لكنّ عبد الوهاب البياتي يصمد وحيداً ويكتب أسماء الشهداء وينظم القصائد التي هي أعلى من ذهب العالم، لكنّه لا ينجو من الأمير الخائن للنيل إلى المراد ومن انغماس العراق في الدم.

من خلال التعبير عن تزوير الأمير رمز بالقمر المخفيّ لخيانة الأمير الخفية وينبعث هذا التوظيف الرمزيّ لدال "القمر" على أنّه معتاد بظهوره في كبد السماء، والشاعر يرسم لنا القمر الأسود الذي هو مخفيّ وليس بإمكاننا رؤيته لغيابه في المحاق؛ هنا يدلّ "القمر" على الخيانة وظهر رمزاً لهذا المفهوم السلبيّ لأنّنا نجده مصاحبة مفردة "الخيانة" وتلوينه باللون الأسود. جدير بالذكر أنّ وصف "القمر" بالأسود دلالة مباشرة على خمود الضوء وإحاطة الظلام والظلم كما شاع عند البياتي و«اللون الأسود في التعابير المختلفة في أشعار البياتي يرمز إلى

⁽¹⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج1، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 464.

جور الحكام الجائرين في العراق والبلدان العربيّة الأخرى»⁽¹⁾. إنّ الشاعر يكرّر "قمر الخيانة الأسود" في موضع آخر قائلاً:

«وكان الشيخ بدر الدين في عباءة حمراء/ من شقائق النعمان مذبوهاً من
الوريد للوريد/ كان قمرُ الخيانة الأسود في أساور النساء والأقراط»⁽²⁾ من خلال
التعبير عن انسحاب الناس من الكفاح وعدم اكتراثهم بالاعتقادات التي مات ناظم
حكمت لأجلها، يعتبر عبد الوهاب البياتي تزوّج المنور أي زوجة ناظم حكمت
وتهاون الرفاق المبارز بمثابة الخيانة، فيرمز بهذا المفهوم السلبي بـ "القمر الأسود"
لمرة أخرى مثلما مرّ بنا في الشاهد السابق.

4-2-4 المنفى والاغتراب:

أحياناً نرى عبد الوهاب البياتي يتطرق إلى قضية المنفى والاغتراب، وهما
من الموضوعات التي تتكرّر في شعر البياتي، لأنّ أعماله الأدبيّة هي صورة
كاملة عن حياته اليوميّة بكافة أبعادها وبكل مصادقاتها. «الإحساس بالغربة عند
البياتي حالة نفسية؛ حيث يرى الشاعر نفسه غريباً متوحّداً في هذه الدنيا وكأنّه

⁽¹⁾ أعظم شمس الديني فرد، طيبة سيفي، «دور اللون ومكانته في التصاوير الشعريّة عند عبد
الوهاب البياتي»، مجلّة دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامية، جيرفت، السنة
السادسة، العدد 24، 1393ش، ص 105.

⁽²⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 395.

يرحل بعقله وفي ذاته "من منفى إلى منفى" ويبحث عن مجهولات العالم وكأنَّ الإحساس بالاغتراب عنده نوع من الانفصال عن المجتمع وحتى عن النفس»⁽¹⁾.
إنَّ عبد الوهاب البياتي من خلال التعبير عن المنفي وإحساسه بالغربة قد استخدم رمز "القمر" للدلالة على منفاه، وذلك في قوله:

«قالت: بحضورِ غائب، مسكونة، أتبع/ موت قمر الثلج على نافذة
المدينة- الأسطورة/.../ تزهّر بعض الكلمات/ ينتهي عذابنا/ لنبدأ الرحلة من
جديد»⁽²⁾.

إنَّ الحياة في العصر الجليدي وسلطة الترحال والاغتراب قد أدّى إلى هذه الأبيات التي تعبّر عن رؤية البياتي إزاء ما جرّب في البلدان الأخرى؛ لذا اتخذ "قمر الثلج" رمزاً للمنفى والعيش في الأراضي التي اشتهرت بالإكثار من تراكم الثلوج في شهري يناير وفبراير، فهكذا يتمنّى "موت قمر الثلج" ونهايةً لعذابه ومعاناته المرة تحت وطأة القضايا السياسيّة. كذلك نجد رمز "قمر الثلج" في موضع آخر للدلالة على مرارة الترحال، ويقول البياتي:

«كلاب الجحيم/ تطاردني في المسير الطويل/ وتنبح في العاصفة/ أيا قمر
الثلج فوق جبال العويل/ ويا رحلتي الخائبة»⁽³⁾.

هنا يتطرّق البياتي إلى مطاردة الشعراء المكافحين هم الذين يهتمّون للنضال

⁽¹⁾ ناهده فوزي، «هاجس الاغتراب والترحال عند عبد الوهاب البياتي»، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، السنة 6، العدد 14، 1389ش، ص 28.

⁽²⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 333.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ج1، ص 491.

في سبيل العقيدة مستعيناً ببراعة قلمهم وقدرتهم الشعرية، فهنا للتعبير عن رحلاتهم المتواترة من منفى إلى منفى استعان بالترميز واتخذ رمز "قمر الثلج" وابتعاد عشتار للمنفى وعدم النيل إلى الهدوء. ينادي الشاعر قمر الثلج هو البدر الكامل الذي يظهر فوق جبال عويل للإيحاء بابتعاد عشتار إله الخير والخصب، لكي يعبر عما تحمله الشعراء في الغربة من الفقر، والاغتراب، والحسرة، والحنين دونما يصرح بها ولا يخلصه الآلهة من تكرّر المطاردات.

5-2-4 الأمير:

إنّ العالم زاخر بالأمرء والحكماء الذين لا يفنى اسمهم من صفحة التاريخ لأجل تقاريرهم المخزبة أم النافعة في تطوّر المجتمع أو حدوث الدمار والأزمات المأساوية؛ ويتجلّى هذا التأثير الإنساني في استخدام الرموز الإيجابية أم السلبية ووفقاً لرؤية عبد الوهاب البياتي إزاء من هو صاحب القدرة تختلف الرموز الأدبية والتصاویر التي توجد لدى الشاعر. إنّ مفردة "القمر" يُعدّ من هذه الرموز الدالة على الأمير عند البياتي، ولمرة واحدة قام البياتي بتوظيف "القمر" رمزاً للأمير، لأنّه أجمل النجوم التي تظهر في ظلمة الليل ولعظمته وكبره بالنسبة للنجوم يبدو كأمر وصاحب قدرة تدور حوله النجوم، وذلك في قوله:

«كان على الحصيرة/ ممدّاً مناجياً أميره:/ يا قمر الزمان/ أسألك الأمان/
فإنّي رأيتُ في الأحلام/ تاجك منه يصنع الحداد/ نعل حصاني ويحز رأسك
الجلاد»⁽¹⁾.

⁽¹⁾ عبد الوهاب البياتي، الديوان، ج2، بيروت، دار العودة، 2008م، ص 28.

«الخليفة، السلطان، أو الأمير في أشعار البياتي لهما شحنات سلبية دائماً ويحمل مصدر كلّ الشرور فبلاطهم مباءة يجتمع فيها المنافقون والانتهازيون والساقطون»⁽¹⁾. قصيدة "المغني والأمير" قصّة تدور بين شخصيتاهما الرمزية أي شخصية المغني للشاعر وهو رمز للشاعر الذي يخاطب الأمير ويسأله الأمان، ورمز قمر الزمان للأمير هو الذي يُقتل بيد الجلاّد وله عاقبة مأساوية بعدما يمنح الأمان للشاعر ثمّ يسمع إلى ما رأى المغني في أحلامه من الجذب، والشتاء، وحكومة العصاة والأشباه.

هنا، وردت مفردة "القمر" رمزاً للأمير، وبإمكاننا أن نتصوّر لـ "قمر الزمان" وجهين؛ جاء البياتي بـ ترميز "قمر الزمان" للدلالة على قدرة الأمير مستهدفاً المزيد من التفات الأمير وأخذ الأمان منه، يرجع هذا الاستدلال إلى أنّ القمر ظاهرة سماوية إذا يظهر في كبد السماء لا منازع له في الهيئة وتتوير الظلام فلذا نراه صاحب القدرة في الليالي؛ وبجانب آخر من المحتمل أنّ "القمر" يدلّ على اسم شخصية أسطورية مسمّاة بـ "قمر الزمان" وهو ابن الملك شهريار في حكايات ألف ليلة وليلة وورد اسم ابن الملك رمزاً للأمير.

الخاتمة:

في الواقع، كثيراً ما أورد الشعراء دال "القمر" في شعرهم العاطفيّ أو السياسيّ أو الاجتماعيّ واستخدموا "القمر" رمزاً إلى مفاهيم متنوعة بناءً على

⁽¹⁾ صلاح الدين عبيدي، «استدعاء التراث في مرآة أشعار عبد الوهاب البياتي»، فصلية النقد والأدب المقارن، جامعة رازي، كرمانشاه، السنة الأولى، العدد 4، 1433ش، ص 35.

رؤيتهم والأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة. عندما نتطرق إلى الشعر العربيّ نشاهد أنّ الشعراء قد استعانوا بمفردة "القمر" للدلالة على مفاهيم إيجابيّة حتّى القرون الأخيرة، أمّا ما لفت انتباهنا فهو أنّ دال "القمر" قد تطوّر أبعاده المعنويّة في أدب المقاومة وتوجد أشعار ذات رموز تدلّ على المعاني الإيجابيّة والسليبيّة؛ بالطبع، ينبعث هذا التطوّر الدلالي من تأزم الأوضاع السياسيّة وخوف الشعراء من عواقب الصراحة في الكلام. البيّاتي شاعر عراقيّ اهتمّ بالنشاطات السياسيّة وجعل عمره فداءً في سبيل الثورة، وقد اهتمّ أن يكون شعره مرآة الشعوب العربيّة ويدافع عن حقوقهم تجاه المستبدين والمحتلين؛ فركز الشاعر على التعبير عن القضايا الوطنيّة مستعيناً بدال "القمر" للتعبير عمّا يرتبط بتاريخ الأراضي وظروفها. في ما يلي نشير إلى أبرز النتائج التي توصّلنا إليها في هذه الدراسة:

1. يعدّ رمز "القمر" من أبرز الوسائل التعبيريّة في شعر عبد الوهاب البياتي، لأنّ هذه الظاهرة السماوية لخصائصها البارزة كطلوعها وأفولها، وتأثيرها في الخصب والجذب تتيح للشاعر أن يقوم بالتعبير عن الأوطان والحياة المشحونة بالحزن والكآبة، وبصورة عامة يوحي بالمفاهيم الإيجابية والسليبيّة دونما التصريح ولم يقف متفرّجاً أمام آلام النّاس في أنحاء العالم.
2. بناء على معالجتنا لـ "القمر" في شعر البياتي وعلاقته مع المحور الفكري السائد في قصائده، ظهر لنا أنّ الشاعر قام بتوظيف "القمر" بصفته أفضل الرموز الطبيعيّة التي توحى بالنور حينما يلقي الليل بظلاله. ونظم القمر في الظهور والغياب يدلّ على مرّ الزمن وتدقّق الحياة، فـ "القمر" ظاهرة منفعة؛ لأنّ إيقاعه في الطلوع والغروب متأثر بالشمس.

3. أورد البياتي رمز "القمر" 72 مرّة؛ ونجده آخذاً به للدلالة على المفاهيم الإيجابية، نحو: الوطن، الأمل، النصر والانفتاح، الحرية، الحياة، الأطفال والشباب، المكافحون، المدينة الفاضلة. وهذه المفاهيم الإيجابية التي تدلّ على تفاؤل الشاعر هي بمثابة "القمر" الذي يظهر في السواد وينشر أنواره ليؤدّي إلى ظهور بصيص من الأمل، وذلك حينما ينظر إليه الشاعر في أيّامه الحبلى بالتشاؤم والحزن.

4. على ضوء الدّراسة يمكننا أن نستنتج بأنّ الشاعر استخدم رمز "القمر" للدلالة على المفاهيم السلبية كالموت، الحزن واليأس، الأمير، الخيانة، المنفي والترحال؛ أمّا البياتي فقد أكثر من توظيف "القمر" للدلالة على الموت، الحزن واليأس؛ لأنّ هذه المفاهيم تنبعث من ذروة حزنه لما جرّبه الشاعر والشعب المكافح في سبيل العقيدة والأهداف الوطنيّة في أنحاء البلدان العربيّة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- مستاري، الياس، الصورة الشعرية وسماتها الحداثية في شعر عبد الوهاب البياتي (قصائد مختارة)، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد 40، 2018م.
- 2- البياتي، عبد الوهاب، الديوان، المجلدان، بيروت، دار العودة، 2008م.
- 3- البياتي، عبد الوهاب، كنت أشكو إلى الحجر: حوارات، ط 1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993م.
- 4- حميدي الخاقاني، حسن عبد عودة، الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، العراق، 2006م.
- 5- الحواري، رائد، «نبوءة الشاعر في ديوان -عيون الكلاب الميتة- عبد الوهاب البياتي»، مجلة الحوار المتمدن، العدد 6483، 2020/2/5.
- 6- سلمان، نور، معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي، مقدّمة إلى الدائرة العربية في الجامعة الأميركية لنيل شهادة أستاذ في العلوم، الجامعة الأميركية، بيروت، 1954م.
- 7- شكري، غالي، أدب المقاومة، القاهرة، دار المعارف، 1970م.
- 8- شمس الدين فرد، أعظم؛ سيفي، طيبة، «دور اللون ومكانته في التصاویر الشعرية عند عبد الوهاب البياتي»، مجلة دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامية، جيرفت، السنة السادسة، العدد 24، 1393ش، الصفحات 91-108.

9- شواليه، ژان؛ گريزان، آلن، فرهنگ نمادها؛ ترجمة سودابه فضايلي، ط 1، ج5، تهران، جيحون، 1387ش.

10- صبحي، محيي الدين، الرؤيا في شعر البياتي، ط 1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م.

11- صديقي، كلثوم؛ اعظمي خويد، حسن؛ ژرفي، هانيه؛ حيدرمان شهري، احمد رضا، «ملاح المدينة والمجتمع الإنساني عند عبدالوهاب البياتي وأحمد شاملو (دراسة تحليلية مقارنة)»؛ مجلة بحوث في الأدب المقارن، جامعة رازي، كرمانشاه، السنة السابعة، العدد 25، 1396ش، الصفحات 79-94.

12- عدي، صلاح الدين، «استدعاء التراث في مرآة أشعار عبدالوهاب البياتي»، فصلية النقد والأدب المقارن، جامعة رازي، كرمانشاه، السنة الأولى، العدد 4، 1433ش، الصفحات 25-53.

13- عامري تبار، محمد، «شيراز: شهر روشنايي شعر البياتي»، مجلة نقد ادب معاصر عربي، دانشگاه يزد، يزد، السنة الخامسة، العدد 8، 1394ش، صفحات 120-145.

14- فيدوح، عبد القادر، معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، دار صفحات للدراسات و النشر، 2012م.

15- السواح، فراس، لغز عشتار، دمشق، دار علاء الدين، 1985م.

16- فوزي، ناهده، «هاجس الاغتراب والترحال عند عبد الوهاب البياتي»، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، السنة 6، العدد 14، 1389ش، الصفحات 37-55.

17- محمدي، فاطمة، مضامين المقاومة وأساليبها في شعر عبدالرحيم محمود، بحث مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر، 1395ش.

18- المرازقة، نجاح عبدالرحمن، اللون ودلالاته في القرآن الكريم، رسالة الماجستير مقدّمة إلى عمادة الدّراسات العليا في الأدب قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، 2010م.

19- المعداوي المجاطي، أحمد، ظاهرة الشعر الحديث؛ مراجعة وتقديم نجيب العوفي، ط1، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع، 2002م.

20- منصور، إبراهيم محمّد، الشعر التصوّف: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر 1945-1995، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، 1996م.

21- نوفل، يوسف حسن، الصورة الشعريّة والرمز اللوني، القاهرة، دار المعارف، لاتا.